

## فوز حماس والتبعات الإقليمية المحتملة

د. محمد عبد العزيز ربيع

تشير مواقف دول الغرب عامة، وفي مقدمتها أمريكا، إلى أن تلك الدول ستحاول محاصرة حماس سياسياً، وحرمانها مما كانت تتمتع به السلطة الفلسطينية من دعم في السابق، وتوجيه معظم دعمها المالي لمشاريع إنسانية ومنظمات غير حكومية. إلا أنه من المتوقع أن تحصل حماس على موارد مالية من مصادر رسمية وشعبية مختلفة قد تفوق ما كانت تتلقاه السلطة الوطنية في ظل الإدارة الفتاوية. ويعود السبب في ذلك لعوامل عدة، أهمها:

- 1- تمتع حماس بسمعة نظيفة في التعامل مع المال، وبمصداقية في تقديم الخدمات للمواطنين.
- 2- اعتبار فوز حماس فوزاً لكل القوى الإسلامية، وإيمان تلك القوى بضرورة مساعدة حماس، لما في ذلك من دعم لطموحاتها السياسية في الدول التي تعمل فيها وتنشط على ساحاتها.
- 3- ميل الجماهير العربية عامة إلى تأييد برنامج حماس السياسي الذي يرفض الاعتراف بإسرائيل والتفاوض معها، واستعداد الكثيرين منهم لدعم حماس في صراعها مع الإدارة الأمريكية وإسرائيل.

كانت إيران أول دولة تبدي استعدادها لتقديم الدعم لسلطة فلسطينية تقودها حماس، وتعويض تلك السلطة عن جزء من المعونات الغربية. وبالرغم من تردد الدول العربية عادة في رفض المقترحات الأمريكية، فإن السعودية أعلنت أنها ستواصل تقديم الأموال للسلطة الوطنية، وأن المعيار الأساس الذي ستعتمده هو معيار إنساني، وأنها لن تتوقف عن تقديم المعونات لأسباب سياسية، وهي الأسباب التي تتبناها أمريكا مبرراً لموقفها المعادي لحماس. وفي الواقع، ليس من السهل قيام أية دولة عربية بإيقاف الدعم المالي أو السياسي لسلطة تنزعها حماس، وذلك بسبب شعبية العداء لإسرائيل، وشيوع الكراهية للسياسة الأمريكية.

بعد قيام وزيرة خارجية أمريكا بزيارة المنطقة العربية قبل أسابيع أدركت إدارة بوش أن عليها تبديل موقفها من قضية الدعم المالي للفلسطينيين، وذلك حفاظاً على حلفائها من أنظمة عربية، ومن أجل احتواء الكراهية لها والعداء لسياستها. وفي أعقاب ذلك أعلن الاتحاد الأوروبي أنه سيقدم 120 مليون يورو لدعم السلطة الوطنية خلال الفترة الانتقالية. من ناحية أخرى، أعلنت أكثر من منظمة إسلامية أنها ستبدأ حملة تبرعات شعبية لدعم حماس، كما طالبت عدة شخصيات سياسية عربية بقيام الجامعة العربية بجمع الأموال للسلطة الفلسطينية. لذا، من المتوقع أن تحصل حماس على مصادر تمويل كافية لتغطية احتياجاتها، وتقديم خدمات اجتماعية وغير اجتماعية قد تفوق ما كانت تقدمه السلطة في ظل الإدارة الفتاوية. وهذا من شأنه تعزيز مصداقية وشعبية حماس، وخلق ظروف تسمح بتسلسل الفساد المالي وتعرض بعض رجال حماس لإغراءاته.

إن قيام إيران بدعم حماس، واتجاه حماس إلى التنسيق مع حلفاء إيران في المنطقة العربية من شأنه زيادة شعبية إيران بين الجماهير العربية. كما أن تزايد الضغوط على إيران وسوريا في المحافل الدولية، وتصعيد التهديدات لحزب الله، والعمل على عزل حماس

ومحاصرتها سياسيا وماليا، من شأنه تشجيع تلك القوى على التحالف فيما بينها. وبسبب مواقف تلك القوى المعادية لإسرائيل وللسياسة الأمريكية، فإن من المتوقع أن يلتف قطاع كبير من الجماهير العربية حول هذا التحالف، مما سيضعف موقف القوى العربية المتحالفة مع المعسكر الأمريكي. وهذا سيدفع السعودية وغيرها من دول عربية إلى العمل على احتواء النفوذ الإيراني، مما قد يؤدي إلى خلق تحالفات جديدة لن تصب في مصلحة أمريكا ولا إسرائيل ولا الدول العربية المتعاونة مع أمريكا والمتصالحة مع الدولة اليهودية.

في ظل اتهام أمريكا لإيران بالتدخل في الشؤون الداخلية للعراق، والإصرار على أنها تقوم بتطوير سلاح نووي، يبدو من المحتمل قيام أمريكا أو إسرائيل بضرب المختبرات الإيرانية حيث يتم تخصيب اليورانيوم. لكن إيران صرحت أكثر من مرة بأنها سترد على أي اعتداء على أراضيها، وفي حالة الرد، من المتوقع أن تقوم إيران بضرب القواعد العسكرية الأمريكية في دول الخليج العربية، أو إغلاق مضيق هرمز أمام ناقلات البترول، والتسبب في إلحاق أضرار جسيمة بالاقتصاد العالمي. أما إذا اعتدت إسرائيل عليها، فإن من المتوقع أن ترد بضرب إسرائيل بالصواريخ التي قد تأتي من إيران أو من لبنان وفلسطين، مما قد يدفع إسرائيل إلى اجتياح الأراضي الفلسطينية وإعادة غزو لبنان، وإدخال المنطقة مجددا في دوامة العنف والإرهاب. وفي كلا الحالتين، من شبه المؤكد أن تتحول إيران وبعض الأقليات الشيعية في دول الخليج العربية في ظل ظروف كهذه إلى مزارع لتفريخ القنابل البشرية الموقوتة.

في ضوء التجربة الأمريكية في العراق يبدو أن من الحماسة إقدام أمريكا على الاعتداء على إيران، أو السماح لإسرائيل بالقيام بذلك الدور. ولما كانت إيران هي المستفيد الأكبر، وربما الوحيد من احتلال أمريكا للعراق، وأنها تقوم بالتنسيق الفعلي مع سوريا وحماس، وأنها تدعم حزب الله وتعتبر مواقفه امتدادا لسياستها، فإن إيران أصبحت أهم القوى الإقليمية في المنطقة، وأكثرها عداوة للسياسة الأمريكية وإسرائيل. إلى جانب ذلك، لا يشك عاقل في أن إيران تعمل جاهدة لامتلاك السلاح النووي، وذلك لأن تجربة كوريا الشمالية علمتها أن السلاح الوحيد القادر على ردع أمريكا هو السلاح النووي. وهذا يعني أن ضرب إيران من شأنه أن يعود على أمريكا وحلفائها بنتائج سلبية أو كارثية، وأن غض الطرف عن إيران من شأنه تعزيز نفوذها وقدراتها العسكرية. فهل ستحاول أمريكا البدء بإعادة ترتيب الأوضاع حفاظا على مصالحها وحلفائها بالضغط على إسرائيل لحل القضية الفلسطينية التي نضجت منذ أكثر من عشرة سنوات، أم أنها ستستمر في سياسة الدعم الأعمى لإسرائيل، وتقف مكتوفة الأيدي تراقب انهيار نفوذها ومصالحها؟

تشير استطلاعات الرأي العام وتحليلات المراقبين السياسيين في أمريكا إلى أن إدارة الرئيس بوش تعيش أزمة سياسية تتزايد باستمرار. وتتلخص تلك الأزمة في تصاعد أعمال العنف والإرهاب في العالم، وفقدان السيطرة على الأوضاع الأمنية والسياسية في العراق، وتزايد تكاليف الحرب المادية والبشرية والأخلاقية، وتسارع عمليات تسييس الإسلام وزحف الأصوليين إلى الحكم في العديد من الدول العربية. فكيف ستتصرف إدارة بوش حيال هذه الأزمة... ليس هناك جواب على هذا التساؤل، لكن فريق بوش كان ولا يزال يتصرف بعقلية تتصف بالعنجهية والجهل، مما يجعل هذه الإدارة قادرة ومعرضة دائما لارتكاب المزيد من الحماقات.

لنشر يوم الثلاثاء 2006-4-25

د. محمد عبد العزيز ربيع

[professorrabie@yahoo.com](mailto:professorrabie@yahoo.com)